مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد13/العدد: 01 (2023)، ص 456-478

الدورة الحضارية في الدولة عند ابن خلدون

The civilizational cycle in the state according to Iben Khaldoun

Cycle de civilisation dans l'État selon Iben Khaldoun

Der Saoudi Meftah [1]

د.سعودي مفتاح*

استاذ محاضر ب قسم الفلسفة جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2

meftah.saoudi@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2022/11/01 تاريخ القبول: 2023/04/26 تاريخ النشر: 2023/06/08

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور العصبية في الدولة، وذلك من أجل فهم الأطوار الخمسة التي تمر بها الدولة، وما للعصبية من دور في الانتقال من طابع البداوة إلى طابع الحضارة، لأن الدولة في خضم ذلك تمر بثلاثة أجيال، شأنها في ذلك شأن الإنسان، فهي تولد وتنمو وتزول، قاطعة في ذلك دورة حضارية دائرية، حيث أن هذا التعاقب الدوري يجعل الدولة ككيان سياسي واجتماعي ينتقل من مرحلة إلى أخرى، والقائمة على أسس تسير بمقتضاها، ولا سيما العلاقة الوطيدة بين العصبية والدولة، والدور الذي تلعبه العصبية في قيامها. فقد اعتبرت الجزء المهم في نشوء الدولة. لأن الأطوار والأجيال تجعل من الدولة تقطع حركة دائرية طيلة مسارها الحضاري. لأن العمران كله بداوة وحضارة وملك، له عمر محسوس مثل عمر الإنسان، إذ لا تعدو الأعمار ثلاثة أجيال، ومبنى الملك أساسين: فالأول الشوكة والعصبية، وهو المتجلي في الجند. والثاني في المال أو الاقتصاد، الذي هو قوام الجند وما يحتاج إليه الملك.

يعتبر مفهوم الدولة في الفكر الخلدوني ليس مفهوما مجردا، يمكن عزله عن بيئته التاريخية، وليس مفهوما تاريخيا مستنبطا من أنظمة معينة، بل هو في جوهره مفهوما تاريخي واجتماعي وقانوني، يتطلب فهم القوانين التي تعد بنيته الأساسية، وما الحضارة إلا مركزا ومصدرا لكل سلطة . إن تأسيس الدولة واستقرارها، ينقل العصبية الحاكمة إلى مرحلة حضارية، تبدأ فيها تأثيرات جديدة،

* **المؤلف المرسل:** سعودي مفتاح، **الإيميل:** meftah.saoudi@hotmail.fr

تنقل الصراع من خارج العصبية المذكورة، إلى داخلها، وهذه العصبية هي عملية التحول الذي تسلكه الدولة من طور الظفر بالبغية، إلى طور الإسراف والتبذير، ومن جيل الثورة والبداوة، إلى جيل الترف . إن عرض ابن خلدون لنظريته في تطور الدول من جهة الأحوال العامة للدولة وشكل الدولة ومؤسساتها وأطوارها واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار، كما وضع ابن خلدون نظريته في الدولة وتطورها وجاء فيها القوانين التي تحكم هذا التطور.

كلمات مفتاحية: اجتماع ، حضارة ، دورة ، عصبية ، فكر.

Abstract:

This study aims to clarify the role of nervousness in the state, in order to understand the five phases that the state goes through, and the role of nervousness in the transition from the nature of nomadism to the character of civilization, because the state in the midst of that passes through three generations, like the human case, it is It is born, grows and disappears, interrupting a circular civilized cycle, as this cyclical succession makes the state as a political and social entity that moves from one stage to another, and is based on foundations that follow it, especially the close relationship between sectarianism and the state, and the role that nervousness plays in its establishment. It was considered an important part in the emergence of the state. Because phases and generations make the state cut a circular motion along its civilizational path. Because the whole of civilization is nomadic, civilization and king, it has a tangible life like the life of a human being, as the ages do not exceed three generations, and the building of the king is two foundations: the first is thorn and nervousness, and it is manifested in the soldiers. The second is in money or the economy, which is the strength of the soldiers and what the king needs.

The concept of the state in Khaldounian thought is not an abstract concept that can be isolated from its historical environment, and it is not a historical concept deduced from certain systems. The establishment and stability of the state transfers the ruling fanaticism to a civilized stage, in which new influences begin, transferring the conflict from outside the aforementioned fanaticism to its interior. From the generation of revolution and nomadism, to the generation of luxury. Iben Khaldoun presented his theory of the development of states in terms of the general conditions of the state, the shape of the state, its institutions, its phases, the different conditions and the creation of its people in different phases.

Keywords: Meeting; civilization; cycle; nervousness; thought.

Résumé :

Cette étude vise à clarifier le rôle de la nervosité dans l'état, afin de comprendre les cinq phases que traverse l'état, et le rôle de la nervosité dans le passage de la nature du nomadisme à la nature de la civilisation, car l'état dans le au milieu de qui traverse trois générations, comme le cas humain, il naît, grandit et disparaît, interrompant un cycle civilisé circulaire, car cette succession cyclique fait de l'État une entité politique et sociale qui passe d'une étape à une autre, et s'appuie sur les fondements qui la suivent, notamment la relation étroite entre la nervosité et l'état, et le rôle que joue la nervosité dans son implantation. Il a été considéré comme un élément important dans l'émergence de l'État. Parce que les phases et les générations font parcourir à l'État un mouvement circulaire le long de son chemin civilisé. Parce que toute la civilisation est nomade, civilisation et roi, elle a une vie tangible comme la vie d'un être humain, tant les âges ne dépassent pas trois générations, et l'édification du roi repose sur deux fondements : le premier est l'épine et la nervosité , et cela se manifeste chez les soldats. La seconde est en argent ou en économie, qui est la force des soldats et ce dont le roi a besoin.

Le concept d'État dans la pensée khaldounienne n'est pas un concept abstrait que l'on peut isoler de son environnement historique, et ce n'est pas un concept historique déduit de certains systèmes. L'établissement et la stabilité de l'État transfèrent le fanatisme au pouvoir à un stade civilisé, dans lequel de nouvelles influences commencent, transférant le conflit de l'extérieur dudit fanatisme vers son intérieur vers la génération de luxe. Présentation par Iben Khaldoun de sa théorie du développement des États en termes de conditions générales de l'État, de la forme de l'État, de ses institutions, de ses phases, des différentes conditions de son peuple et de la création de son peuple en différentes phases.

Mots clés : Rencontre, civilisation, cycle, nervosité, pensée.

مقدمة

يعتبر ابن خلدون أحد العلامات البارزة في التاريخ الإسلامي والعالمي، حيث أغنى الساحة العلمية والابستيمولوجية بمجموعة من الأطروحات والنظريات التي لعبت دورا محوريا في فهم بعض القضايا الفلسفية والعلمية، التي كانت محور دراسة واهتمام من قبل السابقين عنه، ولازالت محل جدل واهتمام من قبل الذين جاءوا بعده، وفي مقدمة هذه الإشكاليات، إشكالية الدولة وديناميكية ظهورها وتطورها وزوالها، حيث مرت بأطوار وأجيال متباينة، كل منها محكوم بآلية العصبية، مما يجعل منها تمر بحركة دائرية تبدأ بالعصبية وتنتهي بها، قاطعة في ذلك دورة حضارية، منسجمة في مراحل وأطوار وأجيال محددة تحديدا زمانيا وحضاريا . ومن خلال ذلك يمكن أن نتساءل : ما طبيعة الدورة الحضارية للدولة عند ابن خلدون؟

1. مفهوم الدولة

11 الدولة في الاشتقاق اللغوي

لقد ورد لفظ الدولة L'état في قاموس اللغة العربية، مشتقا من الفعل الثلاثي دال الذي يعني عدم الثبات، حيث أن مصطلح يدول يقصد منه التعاقب والتقلب والتبدل، أي تعاقب الشيء حيث لا يستقر على حال ليشهد حالات مختلفة ،وتقلب أي تغير من حالة إلى أخرى، وتبدل الشيء أي تحول من حالة إلى أخرى . وقد ذكر ابن منظور (1233م . 1311م) في كتابه لسان العرب لفظ الدولة في قوله : «... الدولة والدولة العقبة في المال و الحرب، سواء... فيها دول ودول ». (ابن منظور. ص. 1034) ويقول : « الدولة بالفتح في الحرب، أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، ويقال كانت لنا عليهم الدولة، وبالضم في المال يقال : صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا...».(ابن منظور. ص. 1034) فهي إذن بهذا المعنى ذات دلالتين: دلالة سياسية وتعني سلطة فئة على أخرى، وجعلها تابعة وخاضعة لأوامرها . و دلالة اقتصادية تعني تداول سلعة بين فئة وأخرى . حيث يمثل هذا التداول علاقة اقتصادية بين مجموعتين اقتصاديتين تربطهما علاقات تبادل أو مقايضة أو بيع وشراء . وقد ورد لفظ الدولة عند ابن منظور في موضع آخر في قوله :« اسم الشيء الذي يتداول، والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال». (ابن منظور. ص. 1034)

وقد ورد لفظ دولة في القرآن الكريم في قوله تعالى :«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم، وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب» (سورة الحشر ، الآية07)، أي أن لا تكون هناك مداولة و اختصاصا بين الأغنياء، فإن لم يقدر الفيء لتداولته الأغنياء و الأقوياء، ولما حصل لغيرهم من الضعفاء والعجزة.(عبد الرحمان ابن ناصر السعد. 1426هـ، ص. 1011) وقوله تعالى :«إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذوا منكم شهداء والله لا يحب الظالمين» (سورة آل عمران ،الآية 140). أي يتداول الله تعالى

الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة ويوم لتلك.(عبد الرحمان ابن ناصر السعد. 1426هـ، ص. 1011) فالدولة إذن في معناها اللغوي في قواميس اللغة العربية، تعني التعاقب والتقلب والتبدل في جميع الأحوال . غير أن ابن كثير (701هـ . 774 هـ) قد فسر لفظ كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم، وهذا يعني جعل هذه المصاريف لمال الفيء، حتى لا يبقى في يد الأغنياء والأقوياء ويتصرفون فيه بوازع العاطفة والرأي، لتتغلب في ذلك الشهوات والآراء على وازع العقل.(ابن كثير، 1990، ص.355) أما تفسيره لتداوله بين الناس أي نديل عليكم الأعداء تارة.(ابن كثير، 1990، ص. 175)

أما معنى لفظ الدولة في اللغات الأجنبية فتباين، حيث أن كلمة دولة في قاموس اللغة الفرنسية Etat مشتقة من الأصل اللاتيني Statuts ،(لالاند، ص. 368) وهي تعني ذلك « الكيان السياسي الذي يتألف من إقليم محدود وشعب وسلطة ومؤسسة له». ((le petit la rousse , P.402)هذين المدلولين يعبران عن محاولة لرصد مقارنة بين المعنى المترتب عن اللغة العربية، وما يقابله في اللغة الأجنبية حيث نتوصل إلى وجود تباين صريح بينهما، فمصطلح State في اللغات الانجليزية أو Etat في اللغة الفرنسية مشتق من الأصل اللاتيني Status. (International Encyclopaedia Of the social sciences, P.144) وقد كان فعله Stare الذي يقابله الفعل to stand في اللغة الانجليزية، والذي يعني « يقف وينتصب ويصمد ويكون في موقف أو وضع معين، ويظل قائما أو نافذا ساري المفعول». (قاموس الموارد، 1991، ص.898) فإذا تمعنا جيدا في معنى الدولة في اللغتين العربية والفرنسية، نجد أن هناك تباين واضح بينهما، ففي اللغة العربية لفظ الـ دولة يعني خاصية التبدل والتغير والصيرورة، حيث لا يوجد ثبات في القيم والمفاهيم، أما في اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الفرنسية فيعني الثبات و المطلقية التي لا يعتريها تغير، وقد عبر عن هذا الثبات مارسيل بريلو Marcel Prélot (1898 . 1972) في قوله :« إن تعبير Statuts مأخوذا بحد ذاته يعني ببساطة موقفا أو وضعا قائما.» (مارسيل بريلو، 1983، ص.9)غير أن الطابع التاريخي لمفهوم مصطلح الدولة في اللغة العربية، يبدوا أقدم من مفهومه في اللغات الأجنبية الأخرى و حديثا من حيث حتمية ظهوره .

لقد « ظهر نموذج الدولة Etat باللغة الفرنسية وState باللغة الإنجليزية في أوروبا الغربية بعد الخروج من الإقطاعية، ورفع تدريجيا إلى مستوى الصورة النموذجية لمعظم أشكال التنظيمات السياسية . وساهمت ضغوط الحياة الدولية في تثبيت هذا النموذج ونشره في أرجاء واسعة من العالم». (سيدي محمد ولديب، 2011، ص.31)فقد ظهر مصطلح الدولة Etat حسب رأي الفيلسوفة والمنظرة السياسية الألمانية المعاصر حنا آرنت Hannah Arendt (1906-1975) من العبارة اللاتينية Status Rei-publica التي تعني شكل الحكومة . وقد ظهرت الكلمة في اللغات الأوروبية في غضون القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، للدلالة على شكل من التنظيم السياسي، اتسع انتشاره منذ عصر النهضة . غير أن كلمة Pays تدل على الدولة . إلا أن البلد قد يحال تحديدا إلى كيان جغرافي، وليس هناك تشابه بين الدولة والأمة إلا في حالة نموذج الدولة – الأمة L'Etat Nation

التي تعتبر كتصور حديث . حيث مثل مفهوم الدولة . الأمة طيلة القرون الثلاثة الماضية، أي منذ نهاية حرب الثلاثين سنة في القارة الأوروبية، وما تبعه من إرساء لمعاهدة الصلح، المعروفة بمعاهدة واستيفاليا(†) التي كانت سنة 1648م . وقد كانت هذه المعاهدة إطارا أساسيا هادفا لتأسيس أخلاقي وسياسي للحياة الاجتماعية المشتركة بين الأفراد . غير أن الشيء الذي ميز هذه الحقبة هو نمو وتطور النظام الاقتصادي الرأسمالي، كنمط تنظيم اقتصادي، فازدهرت الديمقراطية وكانت بمثابة دستور لتنظيم الحياة السياسية، وأضحى هذا الاعتبار الفاعل الرئيسي في نظام العلاقات الدولية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945 .

لم يكن مصطلح الدولة بالاصطلاح الذي هو عليه في وقتنا الحاضر في اللغة العربية (محمد جابر الأنصاري، 1995، ص.21)، والذي يحمل بين ثناياه ذلك الكيان السياسي، والإطار التنظيمي الواسع الذي يعبر عن وحدة المجتمع والأداة المنظمة لعلاقات أفراده الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية المجسدة لموضع السيادة فيه، بإقليمه المحدد جغرافيا، الثابت والقائم بذاته في المجال الدولي، المقابل للمصطلح الإنجليزي STATE وما يتطابق معه في اللغات الاوروبية الحديثة الأخرى، غير أنه في فترة قريبة من عصر النهضة العربية الحديثة، لم يتضمن المصطلح العربي للدولة مفهومها ككيان سياسي، يتألف من الاقليم الجغرافي والسكان أي الشعب والنظام السياسي الذي يحكم هذا الكيان، بمفهومه التاريخي الكلاسيكي، مثلما هو الحال في الدولة الصينية أو الدولة الفارسية أو الدولة الرومانية بمعناها التجريدي. (رضوان سليم، 2006، ص.126) بل كانت الدولة من عهد الكندي(805 . 873) تعني تداول السلطة السياسية وانتقالها بين الحكام، حيث التداول يعني عنده انتقال السلطة من أسرة إلى أخرى . (رضوان سليم، 2006، ص.126) وهو ما يتماثل مع معناها اللغوي الذي أعطاه إياها جميل صليبا (1902 – 1976) في معجمه الفلسفي، الذي يقول فيه عن الدولة مايلي : « الدولة

(†) . **معاهدة واستفاليا** : وهي معاهدتي سلام دارت مفاوضات سلام بشأنهما في مدينتي أسنابروك و مونستر التابعتين لواستفاليا، وقد كان التوقيع عليهما في 15 مايو 1648 و 24 أكتوبر 1648 وكتبتا باللغة الفرنسية، وقد أنهت هذه المعاهدة حرب الثلاثين عام في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وهي تمثل معظم الأراضي في ألمانيا اليوم، كما أنهت هي الأخرى حرب الثمانين عام بين أسبانيا و مملكة الأراضي المنخفضة المتحدة . وقد وقع على هذه المعاهدة مندوبون عن إمبراطور الإمبراطورية المقدسة، فرديناند الثالث هابسبورغ ، ممالك فرنسا وإسبانيا والسويد وجمهورية هولندا ، والإمارات البوتستانتية التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة. كما تعتبر معاهدة واستفاليا أول اتفاق دبلوماسي في العصر الحديث، سن من خلاله تقليدا سياسيا في أوروبا الوسطى مبدأ سيادة الدول. حيث أصبحت بنود هذا الصلح جزأ من القوانين الدستورية التي تسير عليها الإمبراطورية الرومانية المقدسة، حيث اعتبرت اتفاقية البرينيه الموقعة بين فرنسا وإسبانيا سنة 1659 جزءا من معادة واستفاليا . للإطلاع أنظر :

- Justin Mccarthy and others .(1907). The Standart History of The World by great Historians , Vol VI . New yourk : PP .3234-3242 .

وذكر أيضا في :

- R.B Mowat . (1931). A History of Europe and The Modern world 1422-12928 , London: P.162 .

في اللغة : الاستيلاء والغلبة، والشيء المتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك، والدولة في الحرب بين فئتين، أن تلزم هذه مرة وهذه مرة، ودالت الأيام دارت، والله يداولها بين الناس، ودال الدهر انتقل من حال إلى حال». (جميل صليبا، 1982، ص.568)

2.1. الدولة في الاصطلاح

من الواضح جدا أن معنى الدولة L'état يختلف بين طابعه اللغوي وطابعه الاصطلاحي، لعدم وجود تصور واحد بين أهل الاختصاص، لأن الامتداد التاريخي للدولة يتعدى العصر الحديث إلى دولة المدينة عند اليونان . غير أن التماثل بينهما يبدوا غير ممكنا لتباين التصورين، إما من حيث البنية، أو عدد الأفراد المشكلين للدولة ووظيفة كل منهما، لأن الغاية التي وجدت من أجلها الدولة تختلف من حقبة إلى أخرى.

فإذا كان الإنسان عند أرسطو Aristote (384 ق.م . 322 ق.م) حيوان اجتماعي لا يمكن أن يعيش إلا داخل دولة، وإلا كان حيوانا أو إلها، مما يجعل الدولة هيئة ضرورية في حياة الأفراد والمجتمعات. وبديهي جدا أن أهم الدول وأقواها هي تلك التي وجدت في فلك حضارة إنسانية وتطورت من خلالها، ومنطقي إذن أن الداعي الأساسي لقيام الدولة هو التجمع البشري المحاط بعلاقات قانونية تنظم شؤون حياة أفراده . فتتحدد بذلك الحقوق والواجبات، تجنبا للفوضى و تقهقر النظم الاجتماعية، وتسود الفوضى وحلى الظلم . ولعل العامل الرئيس لقيام الدولة هو التجمع البشري الذي يحتاج بدوره إلى قانون وسلطة تحكم إرادة الأفراد.

يعرف أندريه لالاند André Lalande(1867. 1963) الدولة بقوله :« مجتمع منظم ذو حكومة مستقلة، ويضطلع بدور شخص معنوي، اعتباري مميز إتجاه المجتمعات المماثلة الأخرى، التي يقيم معها علاقة».(لالاند، 2001، ص.369) حيث يعتبر لالاند الدولة على أنها تنظيم اجتماعي منظم ومهيكل بقوانين تسير بمقتضاها حياة الأفراد و الجماعات، إما في علاقتهم فيما بينهم داخل الدولة الواحدة . أو في علاقتهم بالمجتمعات الأخرى، التي تمتد إليها علاقاتهم معها . وبهذا المفهوم تبدو الدولة على أنها هي: « أداة للتعبير عن واقع يعيشه شعب ما (يحتوي على قوميات وأمم، أو قومية واحدة وأمة واحدة، أو قومية واحدة وأمم متعددة، أو قوميات متعددة و أمة واحدة) من خلال مؤسسات . وتعتبر الدولة قمة الوعي المعرفي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي السائد في المجتمع.»(محمد شحرور، ص.179)أما عبد الوهاب الكيالي (1939.1981) في موسوعة السياسة، فقد عرف الدولة وحدد سبب نشأتها بقوله : « تعود نشأة الدولة إلى ميل الإنسان نحو الحياة الاجتماعية، التي تصبح صعبة في غياب عقد اجتماعي، يضع قواعد التصرف والحقوق والواجبات الاجتماعية للأفراد، ويتضمن وجود سلطة عليا في المجتمع قادرة على التحكيم والحفاظ على القانون».(الكيالي وآخرون، 1991، ص.702-703)

إن وجود الدولة مرهون بالمحافظة على مصالح الناس، ومصالح المجتمع عن طريق فرض قوانينها، وتميزها بخاصية الإكراه مما يحتم على أفرادها احترامها، والمضي قدما نحو تحقيق المصلحة العامة، لأن الدولة هي « الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع، والناظم لحياته الجماعية، وموضع السيادة فيه بحيث تعلوا إرادة الدولة شرعا فوق إرادات الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع ». الكيالي وآخرون، 1991، ص.702-703) ولا يتجسد ذلك إلا من خلال امتلاك الدولة لسلطة قهرية لامتلاك القانون، والسهر على تطبيقه، لضمان أمن وسلامة الأفراد والممتلكات داخل المجتمع . ويتحقق من خلال ذلك الأمن والاستقرار داخل المجتمع وخارجه، كما يتحقق التقدم والرقي، والأمن من العدوان في الخارج.

لقد كان نشوء الدولة يقوم على « تشكل سلطة عامة مزودة بجيش وبوليس وسجون والأنظمة المختلفة للقهر» (روزونتال وب بودين، 1985، ض.202). وهذا يعني أن الدولة فيها جهاز حاكم هو الذي يفرض سلطتها القهرية، فإذا غابت هذه العناصر المكونة للدولة، غابت عنها صلاحية الإكراه . وقد نظر يورغن هابرماس Jürgen Habermas (1929.) إلى الدولة على أنها سلطة تحمل في طياتها ثلاث خصائص هامة، هي المعاقبة والتنظيم والتنفيذ، في قوله : « باختصار إن الدولة ضرورية كسلطة تعاقب و تنظم وتنفذ». (Jürgen Habermas,1997, P.152) فهذا الحق المشروع للدولة يجعل منها سلطة قهرية تمارس صلاحية الإكراه، حيث يبدو « من هنا الطابع المركزي الذي تتميز به الدولة كمؤسسة تمارس بيروقراطيا السلطة المشروعة».(Jürgen Habermas,1997, P.152) وكأن خاصية ممارسة القوة باتجاه مواطنيها، وإخضاعهم لقوانينها بالقوة حق مشروع في نظر هبرماس .

لقد فسر الماركسيون فرضية قيام الدولة، على أنها تنظيم سياسي للطبقة السائدة في الاقتصاد، ومن ثمة ظهورها مرتبط بانقسام المجتمع إلى طبقات، لذلك فالدولة في المجتمع القائم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج تصبح أداة في أيدي الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج تستعملها لخدمة مصالحها الشخصية بعيدا عن المصلحة العامة . لأن الدولة في نظرهم ماهي إلا « تنظيم سياسي يكفل حماية القانون، وتأمين النظام لجماعة من الناس، تعيش على أرض معينة بصفة دائمة »،(عبد المنعم الحفني، 2000، ص.352) لكن طابع الدولة في العصر القديم يختلف عما هو عليه حاليا . فالدولة في العصر القديم قد قامت على أساس ديني و اجتماعي وثقافي، فدولة المدينة عند الإغريق Cité-Etat كان لها طابع اجتماعي وديني، لها تقاليد معرفة به، لذلك يعتبر كل من أفلاطون Platon (428ق.م-347ق.م)، و أرسطو Aristote (384 ق.م . 322 ق.م) دولة المدينة « نموذجا مثاليا للمجتمع، لكونها قادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا».(عبد المنعم الحفني، 2000، ص.352) ويعتبرون أن هذه المدن الدول قد خرجت في العصر الهليني إلى الوجود، ومن وراء ذلك غايات وجدت من أجلها « نتيجة لفرض الوحدة السياسية على مجتمعات كانت على قدر من الضآلة، لا تسمح بأن تؤلف كل منها على حدة، دولة لها كيانها وفعاليتها »،(توينبي، 1963، ص.41) وقد ظهر

ذلك على وجه الخصوص في دولة إسبرطا Sparte التي تكونت من إتحاد بين خمس قرى، وعلى شاكلتها تكونت المدن والدول الأخرى. وقد كانت تسمى ببوليس Polis وتعني في اللغة اليونانية القلعة .

لقد نظر جميل صليبا إلى الدولة على اعتبار أنها جمع من الناس، يقطنون رقعة جغرافية معلومة الحدود، يتميزون باستقلال تام وفق نظام خاص، وبالتالي في تعبر في ذلك على مجتمع منظم، تسييره حكومة مستقلة وله شخصية معنوية يتميز بها عن غيره من المجتمعات المماثلة له، وبالتالي فالدولة هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة الأفراد الذين يشكلون أمة Nation، غير أن هناك فرق بين الدولة والأمة . فالدولة هي الأمة المنظمة، أما الأمة فهي جماعة من الناس، تجمعهم خصائص مشتركة، كما يشتركون في المصالح والآمال والأهداف المشتركة . أما في المعنى القانوني فلفظ الدولة يطلق على جملة المصالح والإدارات العامة، الذي يقابل المديرية والولاية والعمالة والمحافظة وغيرها من الإدارات، سواء كانت إقليمية أو محلية، حيث أن للدولة أملاك عامة Domaine Public ولها في مقابل ذلك أملاك خاصة Domaine Privé de l'Etat بغض النظر عن أملاك الأفراد Propriété Priveé . أما سيطرة الدولة Etatiseme فهي نابعة من نظام سياسي يجع كل الوظائف الاجتماعية من خدمات عامة وعلاقات اقتصادية كلها تحت سلطة الدولة. (جميل صليبا، 1982، ص.568)فالدولة بهذا المعنى :« مجتمع منظم له حكومة مستقلة، وشخصية معنوية متميزة من المجتمعات الأخرى المماثلة، التي تربطها بها العلاقات . وتختلف الدول فيما بينها من حيث تكوينها ونظام الحكم فيها، ومنها كبيرة وصغيرة، ومنها ملكية وجمهورية وسيطرة الدولة نظام يرمي إلى جعل الوظائف الاجتماعية من إنتاج وخدمات عامة في يد الدولة». (المعجم الفلسفي، 1983، ص.85) لذلك تظهر الدولة على أنها تنظيم سياسي منظم، مزود بصلاحيات الإكراه .

تبدو الدولة من خلال ما سبق ذكره أنها وسيلة لتنظيم السلوك الإنساني، وفق القوانين التي تلزم بها إرادة أفرادها، وفرض مبادئ تنظم حياة الأفراد، حيث لا يتأتى ذلك إلا بتشريع القوانين، وسن النظم والدساتير التي تسير بها شؤونها، وتعاقب مخلفيها، إضافة إلى فرض النظام لضمان طاعتها . وفي مقابل ذلك يمكن القول أن الدولة كجهاز سياسي، يمكن أن يشير إلى ذلك الكيان أو البنيان المتمخض عن النظام الاجتماعي، المقام والمطبوع بناءا على ظروف وأحوال المجتمع السياسي الذي يشكل جوهر الدولة، وكيفية تفاعل الأفراد معها، بهدف خدمة أفرادها وتدبير شؤونهم، ومراعاة مصالحهم، لذلك تكون الدولة وليدة المجتمع الذي أوجدها، كحتمية من حتميات وجودها .

1.3. الدولة عند ابن خلدون

تعتبر الدولة المحور الأساسي في فلسفة ابن خلدون السياسية، حيث لا يمكن بأي حال من الأحوال اختزال آرائه في العصبية، أو الصراع الدائر بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري فحسب، كما يعتقد أغلب المشتغلين على الفكر الخلدوني . على الرغم من احتلال العصبية الحيز الأكبر في نشأة الدولة عند ابن خلدون، باعتبارها ليست غاية في ذاتها ، وإنما هي تجري إلى غاية أخرى أسمى من ذلك

هي الملك، الذي هو جوهر الدولة، وما العصبية إلا وسيلة أو أداة ، تستخدم لتفسير الصراع القائم بين البدو والحضر. حيث لم ينظر ابن خلدون إلى العمران البدوي على أنه نقيض للعمران الحضري، بقدر ما هو أصل له ومادة.

وأما الدولة عند ابن خلدون (1332م-1406م) فإنه يربطها بالبداوة والعصبية، اللتين يعدان أساس نشوء الدولة « كون الدولة هي مناط الصنائع وغاية الحضارة، فالظاهرة السياسية هي أسمى هدف للظاهرة الحضارية، يظهر ذلك جليا في التمركز المفرط، الذي تبدو فيه الملازمة بين المركز السياسي والنشاط الحضاري واضحة تماما ».(ادريس هاني، 2002، ص.100) إذ تعد الدولة عند ابن خلدون وجها من أوجه الحضارة، حيث تزداد قيمتها وهيبتها كلما تعاظم مستوى حضارتها. وفي ذلك يقول ابن خلدون :« الحضارة في الأمصار من قبل الدول، وإنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها »،(ابن خلدون، 2004، ص.408) كما أن الدولة والحضارة إنما يسيران في خط واحد لا يكن الفصل بينهما، لأن كل منهما يعد قوة للآخر، وهم « يسيران جنبا إلى جنب فكلما قامت الدولة من جانبها بواجباتها في إحلال الحق والعدل في جميع الميادين من حياة المجتمع، طال عمرها واتسمت حياتها بالحيوية والقوة ».(اسماعيل زروخي، 1999،ص.525)ونفهم من ذلك أن الدولة ضرورة سياسية، لا يمكن الاستغناء عنها، ولا يمكن أن تقوم حياة سياسية من دونها . لكن لا تقوم على الفوضى والتسلط، أي سلطة طبقة على أخرى . حيث كلما قامت بإحلال مبادئ الديمقراطية، وتكريس مبدأ الحقوق والواجبات، كان عمرها أطول . لأن معظم الدول التي تقوم على القهر والغلبة، لا تعمر طويلا . ضف إلى ذلك الفوضى والصراع الذي يعيشه مواطنيها تحت راية الدولة . تحتل الدولة عند ابن خلدون مكانا هاما ومتميزا في فكره وكتاباته، وقد ذكر ساطع الحصري ذلك في قوله « إن الدولة من المواضيع التي اعتنى بها ابن خلدون، ببحثها اعتناءا كبيرا، لقد خصص ما يقارب من ثلث المقدمة لهذا البحث». (الحصري، 1967، ص.354)

إن المهمة النبيلة التي وجدت من أجلها الدولة، هي إشباع حاجيات مواطنيها، والعمل على توفير العيش الكريم لهم، في فلك الأمن والاستقرار والعدالة وهي منطلقات الحضارة الانسانية، « فبقدر ما تتطور الحضارة تتجه الدولة إلى تحمل عبء إشباع الحاجات العليا والنبيلة للمجتمع ». (Philip resnik, 1985, P.179) لأن الدولة هيئة سياسية واجتماعية وأخلاقية، فهي تنظيم سياسي محاط بقوانين ونظم ودساتير، وسلطة اجتماعية لأنها تعمل جاهدة على بسط الأمن والاستقرار وتحقيق حاجيات أفرادها، وتنظيم أخلاقي يشعر فيه الفرد بإنسانيته وقيمته كإنسان . يتعاون ويتآزر مع بنو جنسه تحت راية الدولة، دون أن يشعر بالذل والهوان الذين يحطان من كرامته.

من المسلم به أن المجتمعات البشرية لا تنشأ كمجتمعات تاريخية، إلا في إطار دولة، إذ لا يوجد خيار غير العيش في فلك الدولة للمجتمعات حتى تتقدم وتزدهر، وتنظم كيانها الداخلي، حتى تتحول إلى مجتمعات سياسية، مما يقود بالضرورة إلى نشوء الدولة على ضوئها . حيث لم تتساو هذه الدول في

مستوى تقدمها وقيمها وتطور نظمها، تبعا لتفاوت هذه الجماعات السياسية المشكلة لها، وتنامي فكرة الدولة في وعيهم . (عبد الاله بلقزيز، 2015، ص.23)فتنال هذه القدسية من قبل أفرادها، نتيجة وحدة الوعي بينهما، ووحدة الخضوع لهذه السلطة القهرية التي تفرض على أفردها القوانين بصفة مكرهة .

يرى ابن خلدون أن الدولة لا توجد دون حكم سياسي, ولا يوجد حكم سياسي دون دولة, بالتالي يرى أن الدولة والسياسة هم وجهان لعملة واحدة, وأن منشأ الدولة هو المجتمع. الجدير بالذكر هنا أنه ليس أي مجتمع ينبثق منه دولة, فمثلا المجتمعات الطبيعية أو البدوية لا يمكن أن تنشأ منها دولة ولا حكم سياسي . و لم يذكر ابن خلدون تعريف صريح عن "الدولة", فكان يستخدم اللفظ لأكثر من معنى فمثلا تعبيره عن الملك بلفظ الدولة, و استعمل لفظ الملك بعدة معاني, منها: الدولة, السلطة, الحاكم ,الحكم وغيرها من معاني, مما يؤدي إلى تشتت في ذهن من يقرأ لابن خلدون, إلا أن هناك اجتهادات من الباحثين لتعريفا مباشرا من وجهة نظر ابن خلدون, فعرف أحد الباحثين أن الدولة عند ابن خلدون "هي الامتداد المكاني والزماني, لحكم عصبية ما" (سعد الله, 2003، ص.33)

فالدولة الخلدونية التي هي أساسا من أصل بدوي وريفي، وباعتبار عدم إمكانية فصلها عن العصبية، تمر سوسيولوجيا بثلاث مراحل: الأولى تقابل تأسيس السلطة واستقرارها. وخلال هذه الفترة، كما يشير ابن خلدون، فإن "الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم، فحدهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون. والمرحلة الثانية هي مرحلة توسع الدولة وصعود نجمها. فبعد استقرار السلطة التي افتكت بقوة السلاح، تتجه العشيرة التي انتخبتها الطبيعة نحو البحث عن العز والترف والتأنق، وتستطيب الملذات والكرامات التي تتيحها هذه المرحلة المواتية للدولة. لقد سمح الحظ للعشيرة -وبصورة أدق للعائلة الحاكمة- أن تهيمن على بقية العشائر، وحان الوقت لتكريس الجهد في امتلاك علامات السلطة وشاراتها: فنون الطهي، والملابس الفاخرة، والمباني التي تعكس فخامة السلالة الحاكمة، والمركوبات الفارهة، وتطور الفنون والصناعات، والعلوم والآداب، وإنشاء جهاز بيروقراطي مصمم لحماية هذه الامتيازات، وإعادة توزيع كرامات الدولة على الجيش والأتباع والحلفاء. وحين تصل أقصى درجات الترف والبذخ، تكون الدولة قد انقطعت بالفعل عن أصولها البدوية؛ فتنهار العصبية بفعل شخصنة السلطة وظهور أجيال جديدة لا ميزة لها سوى وراثة سلطة الدولة، "فتربى أجيالهم الحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة، وينقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراس وركوب البيداء

وهداية القفر، فلا فرق بينهم وبين السوقة من الحضر إلا في الثقافة والشارة، فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم وتنخضد شوكتهم، ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس من ثياب الهرم".

ويبين هذا العرض الموجز لمختلف مراحل الدولة أن هذه الأخيرة شبيهة بكائن طبيعي، أو بجسم خاضع للتحول والفساد. وهذه المقارنة بين الدولة والجسد البشري الحاضرة فعلا عند المؤرخين الرومان الذين استخدموها لوصف عظمة روما وانحطاطها، تقود ابن خلدون إلى تحليلاتٍ حول العصبية .وبالفعل، فهو يعتمد هذا الوصف العضوي لجسد الدولة ويقارنه بإنسان يعيش في المتوسط مائة وعشرين عاما ويعرف ثلاث مراحل هي نفسها المراحل التي تعيشها الدولة من خلال الأجيال الثلاثة التي تتداول على حكمها تباعا. أولا المؤسسون المطبوعون بالنزعة العشائرية والقيم الحربية. ثم المدبرون الميون بالحفاظ على سلطة الدولة من خلال إنشاء جهاز إداري وحكومي يعكس مجدها وفخامتها. وأخيرا، الورثة الذين يجدون أنفسهم -بسبب ضعفهم الجسدي- غير قادرين على الدفاع عن ممتلكاتهم ويلجؤون إلى القوانين الجائرة)ضرائب غير مشروعة، وأعمال نهب وسرقة) من أجل تغطية نفقاتهم الباهظة وتأجير مرتزقة للدفاع عنهم. وتتطابق هذه المرحلة الأخيرة مع ظهور عشيرة أخرى قوية ذات عصبية ومهيأة طبيعيا لافتكاك السلطة. والتعاقب بين هذه المراحل الثلاث هو قانون لا تستطيع أي دولة التهرب منه؛ ولذلك فإن جميع تشكلات الدولة -في نظر ابن خلدون- تمر حتما بهذه الآليات وتعتمد الديناميات نفسها، منذ التكوين حتى الانقراض.

2. التعاقب الدوري في العمران التام

إن ما تتميز به المجتمعات العربية في نظر ابن خلدون هو خاصية التمايز والتباين بين حياة البادية وحياة المدينة، فكان تركيزه في دراسته للعمران البشري في عصره على هذه الظاهرة، و بما أن حركة التاريخ هي حركة انتقال مستمرة من البداوة إلى الحضارة و حيث أن هذا الانتقال يتم عبر الدولة. (محمد عابد الجابري، 1992، ص. 141) .إذ يقول ابن خلدون في ذلك : « ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها ».(ابن خلدون، 2016، ص.45) لذلك يميز ابن خلدون بين نوعان من العمران : العمران التام والعمران الناقص ، فالعمران التام هو الذي يقترن بالوازع والملك ، مادام أن البشر عدوانيون بطبعهم، أما العمران الناقص فهو الاجتماع البشري الذي لا يؤدي إلى قيام دولة، و المعروفة في وقتنا الحاضر بالاجتماع السياسي، كما يحدث في الأقاليم المنحرفة. لذلك فالدولة أو الملك للعمران المعروفة بالمجتمع السياسي بمثابة الصورة للمادة، وقد تقرر أنه لا انفكاك للصورة عن المادة، حيث أن الدولة من دون عمران لا وجود لها، وعمران من دون دولة وملك ضرب من الخيال. (ساطع الحصري،

1967، ص.356) وهذا يعني أن الدولة في نظر ابن خلدون لا تثبت على حال، بل أنها تتطور تطورا مستمرا ، من نشأتها إلى انقراضها واضمحلالها . (المرجع نفسه، ص.3578) فهي مثل السلسلة متراصة الحلقات، لا يمكن أن نفصل حلقة عن أخرى، غير أنه لكل حلقة مميزات خاصة، وظروف تمر بها.

إن ما يتفق عليه معظم الباحثين المهتمين بفكر ابن خلدون، هو أن نظرية التعاقب الدوري للدول، تعد نظرية من إبداع ابن خلدون في تاريخ الفكر الإنساني.(خاليد فؤاد طحطح، 2009، ص.86) فكل دولة تنتقل من طور إلى آخر و كل طور يختلف عن الآخر حسب مميزاته وظروفه المحيطة به، لذلك يقسمها ابن خلدون إلى خمسة أطوار، مستدلا على ذلك بقوله : « إعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة، ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور، لا يكون مثله في الطور الآخر . (ابن خلدون، 2007، ص.213) لذلك يعتبر ابن خلدون أن أطوار الدولة أمر طبيعي، لأنها مثلها مثل الكائن البشري، يمر بمرحلة الطفولة ومرحلة الشباب ومرحلة الشيخوخة والهرم. و لأن الغلبة تكون بالملك الذي يعود إلى أساس العصبية، مع العلم أن العصبية في مفهومها الدقيق، تعني تلك الرابطة الاجتماعية السيكولوجية، سواء كانت شعورية أو لا شعورية، التي تربط أفراد جماعة معينة قائمة على القرابة المادية أو المعنوية ربطا مستمرا، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة . (محمد عابد الجابري، 1992، ص. 297) والواضح أن العصبية تغذيها وحدة الشعور بالانتماء من جهة، والشعور بخطر داهم للعشيرة أو القبيلة، مما يؤدي إلى قوة وقعها في نفوس الأفراد.

لم يقتصر تقسيم ابن خلدون على أطوار الدولة فحسب، بل امتد ذلك الى تمييزه بين نوعان من العصبية، عصبية عامة وعصبية خاصة. فأما العصبية الخاصة فهي المبنية على النسب القريب، أن وازع القرابة . قرابة الدم . أو قرابة النسب ا لقريب، نسب العائلة أو الأسرة هو الذي يوحد بين الأفراد، أما العصبية العامة فهي التي تقوم على النسب البعيد ، أما العصبية المستندة إلى التعصب للأنساب فقط والاعتداد بها فهي عصبية جاهلية.(المرجع نفسه، ص. 298) وهذا النوع من العصبية قد تربطه وحدة المصالح، أو رابطة الدفاع أو الاحتماء من الأخطار ، ليتم هناك تكتل عصبي بين الأفراد، يشعر كل فرد بشعوره المشترك مع من يتقاسم معهم هذه المصالح.

إن العصبية في نظر ابن خلدون « هي النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام، أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ».(ابن خلدون، 2005، ص.207) وهذا يعني أن الأصل في العصبية القرابة من النسب وذوي القربى، أي أن تقتصر على ذوي النسب الواضح، من الذين صاهرهم وانتسب إليهم بالولاء أو ناصرهم بحلف. غير أن النسب في ذلك لا قيمة له في العصبية، إلا إذا كانت فيه رابطة مصلحة.(عمر فروخ، 1972، ص. 667) حيث تبرز فائدة النسب في الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام، حتى تتجسد المناصرة والنعرة، فالنسب إذن أمر وهمي في نظر ابن خلدون أي بمعنى رمزي فقط، فالوظيفة الرمزية للنسب تظهر في أنه ليس لها أساس عرقي في الدم أو الدماغ، بل تقتصر على وظيفة تحقيق التماسك

الاجتماعي بين أفراد القبيلة الواحدة، إذ أنه بنية رمزية اجتماعية تمارس نوعا من القيم على ذوات الأفراد، فإذا زالت منه النعرة والتماسك أثناء الشدائد فقد هذا النسب معناه، وصار من أعمال اللهو المنهي عنها .(سعيد الغانمي، 2006، ص.133) فالعصبية التي يقصدها ابن خلدون إذن لا تعني مطلقا الجماعة، وإنما هي الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو الحلف أو الولاء، بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم، من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي، وتبقى مستقرة ومتفرعة بوجود هؤلاء الأفراد، واستمرار تناسلهم. حيث ينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى الحمية والمرافعة، وهم يتعصبون لبعضهم البعض حينما يكون هناك دافع للتعصب . فتبدو العصبية إذن على أنها رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا مستمرا ، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد هؤلاء الأفراد .(محمد عابد الجابري، 1992، ص. 168)وهذا يعني في نظر ابن خلدون، أن التعصب تحركه المصالح سواء فالمعنوية في طابعها السيكولوجي، أو المصالح المادية في طابعها الاجتماعي.

لقد كان هناك تمايز بين العصبية الخلدونية والعصبية الجاهلية التي ينبذها الاسلام، فالعصبية الخلدونية لعبت دور كبير في نشوء الدول وتغير أطوارها، حيث كل التحولات التي تطرأ على الدولة من لحظة نشوءها إلى لحظة انهيارها، فكل الأطوار التي تعرفها الدولة، ليست لحظات تاريخية فارقة. بل كل ما يحدث من ملك ورياسة إنما بالعصبية، حيث يقول ابن خلدون في هذا الصدد : « إعلم أن هذه الأطوار طبيعية للدول، فإن الغلب الذي يكون به الملك إنما هو بالعصبية، وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الإفتراس، ولا يكون ذلك غالبا إلا مع البداوة ».(ابن خلدون، 2005، ص.209) وقد نفهم من قول ابن خلدون هذا أن العصبية من حيث وظيفتها هي عنف وصراع، تهدف بالأساس إلى الملك والرياسة. غير أن شقها السياسي يظهر اللحظات والأطوار التي تمر بها ألدولة وتتلون بمقتضاها صور الملك، والواقع أن هناك تلازم بين هذه الأطوار ، إذ يؤدي بعضها إلى بعض بمقتضى منطق جدلي باطن.(سالم حميش، 1998، ص.93) وعلى الرغم من ذلك فإن ابن خلدون يتبع هذه التطورات التي تحدث في الدول من ناحيتين أساسيتين :

1 . الناحية الأولى وتتمثل في التطورات التي تحدث في الدولة، من ناحية الأحوال العامة والأخلاق(ساطع الحصري، 1967، ص. 375)، وهنا يتم فيها الربط بين الظروف المادية والأحوال الروحية والأخلاقية، وفي نطاق التجدد والتغير .

2 . أما الناحية الثانية فهي إضافة إلى التطورات التي تحدث في الدولة من ناحية العظم واتساع النطاق(ساطع الحصري، 1967، ص. 375)، بمعنى أن كل دولة يتسع نطاقها أولا ثم يبدأ هذا النطاق في التقلص طورا بعد طور حتى فنائها، وعليه فما هي الأطوار التي تمر بها الدولة ؟ وما خصائص كل طور ؟

3 . أطوار الدولة

3- 1- طور الظفر بالبغية

لقد أطلق ابن خلدون اسم طور الظفر بالبغية على هذا الطور، حيث أنه يمثل طور الظفر بالحكم وتأسيس الدولة الجديدة، التي أنشأت من قبل القوة المنتصرة، حيث تظهر فيها العصبية كمحرك أساسي للتاريخ وصانعا له(سالم حميش، 1998، ص. 93)، هذا وقد تتأسس الدولة في بدايتها الأولى بانتزاع الملك من أيدي حكام الدولة السابقة، الذين تم هزمهم وكسر شوكتهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « طور الظفر بالبغية، وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه، من أيدي الدولة السالفة قبلها »(ابن خلدون، 2005، ص. 213)ومن خلال المصطلحات التي وظفها ابن خلدون في قوله هذا، يظهر لنا جليا تأثير الثقافة العربية الإسلامية من خلال مبدأ التدافع والعصبية كأساس للحكم والسلطة، إذ أن صاحب العصبية الأقوى هو الذي يسود قومه، ليصبح الملك في هذا الطور صاحب قدر كبير من الجاه والورع، لأنه أسوة قومه . حيث تتوفر فيه جملة من الخصال، ويقوم بوظائف لا يقوم بها غيره . يقول ابن خلدون : « فيكون صاحب الدولة . أي الملك الجديد . في هذا الطور أسوة قومه في اكتساب المجد، و جباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية ». (ابن خلدون، 2005، ص. 213)فالملك الجديد يصبح قدوة أنصاره ويشاركهم المجد، « لا ينفرد دونهم بشيء، لأن ذلك هو المقتضى العصبي الذي وقع بها الغلب، وهي لم تزل بعد بحالها ». (ابن خلدون، 2005، ص. 213) فالصفة المميزة لهذه المرحلة من مراحل الدولة، هي أن الملك يستند إلى عشيرته في تسيير شؤون الدولة، حيث يكون الحكم مشتركا بين الملك وعشيرته، وهذا ما يبرر احتماء الملك بأفراد عشيرته أو قبيلته، الشيء الذي يحتم عليه مشاركتهم في الحكم، حتى يظهر لهم نوعا من التعاطف، ويظهرون له نوعا من الولاء . فهذا الطور هو طور التأسيس والاستيلاء والنصر على الحكم, ومن مميزات هذا الطور هو تعاون وتكاتف أفراد العصبية في الحكم والمشاركة في السلطة السياسة, والدفاع والحماية من العدوان, والمساهمة في النهوض باقتصاد الدولة المالي.

3-2- طور الاستبداد والانفراد بالملك

إن ما يتميز به هذا الطور هو الاستبداد والانفراد بالحكم ، حيث يميل فيه الأمير أو الملك إلى الانفراد بالملك، وذلك بكسر عصبية أهل قبيلته نفسها، واستنزاف حماستها وطاقتها وانفراده بالملك دون مشاركة لهم، يقول ابن خلدون :« طور الاستبداد على قومه، والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة و المشاركة ».(محمد عابد الجابري، 1992، ص. 304) حيث أن صاحب الدولة لا يستطيع أن يتغلب على هذه المشاكل، ولا يستظهر على خصومه من أهل عصبيته إلا بالموالي والمصطنعين، وموالي القبيلة في الإصلاح الخلدوني هو جميع من ينتمي إليها . أي القبيلة . دون رابط نسب صريح، أما المصطنعون وهم الذين تضمهم القبيلة إليها بالحلف أو الولاء دون أن يرتبطوا بها بالنسب القريب . (ابن خلدون، 2005، ص. 213) يقول ابن خلدون : « ويكون صاحب الدولة

في هذا الطور، معينا باصطناع الرجال، واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار في ذلك، لجدع أنوف أهل عصبيته وعشيرته، المقاسمين له نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه».(ابن خلدون، 2005، ص. 213) وبذلك يدخل صاحب الدولة في مباعدة الأقارب، بالاستغاثة بالأباعد من الموالي والمصطنعين لينفرد بالمجد : فهو يدافعهم . أي أهل عصبيته الأوائل . عند الأمر ويصدهم عن موارده، ويردهم على أعقابهم ... ويفرد أهل بيته بما يبني من مجده ».(ابن خلدون، 2005، ص. 213)

وتتجدد المعاناة مرة ثانية ليس لأجل البناء، بل لأجل إبعاد الأقارب، لأنه في المرة الثانية يستعين في التغلب على أقاربه بالأباعد (الغرباء) : « فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر أو أشد، لأن الأولين دافعوا الأجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل العصبية بأجمعهم، وهذا يدافع الأقارب لا يظاهره على مدافعتهم إلا الأقل من الأباعد فيركب صعبا من الأمر ».(ابن خلدون، 2005، ص. 213) حيث « لا يمكن فهم ديناميكية نظرية ابن خلدون منعزلة عن الديالكتيكية التي تحرك باطن أحداث التاريخ »(احمد محمود صبحي، 2004، ص. 149) فتتحول اثر ذلك القضية إلى نقيض، ثم يتحول النقيض إلى قضية، فيولي صاحب الدولة المناصب في دولته للموالي والمصطنعين، دون أهل قرابته، وهذا الأمر يؤدي إلى التنازع بين الحاكم وأهل عصبيته، إلى أن ينتصر صاحب الدولة عليهم وينفرد بالمجد .(ساطع الحصري، 1967، ص. 308)حيث تكتسب الدولة خاصية الاحتراف في شتى المجالات، سواء تعلق الأمر بالجيش أو بالوزارات أو مختلف الإدارات. فيستغل صاحب الدولة خبرة الموالي والمصطنعين، لكن يجب أن يتحلى صاحب الدولة بالحكمة والذكاء والدهاء، إذ يستخدم دهائه لضمان وفاء الموالي والمصطنعين بالأجور والتعويضات والتمويل. لكن في مقابل ذلك باستبداد الأمير يكثف الطغيان الجبائي، ويقدم ابن خلدون أمثلة عن دولة بني أمية : « كيف كانوا إنما يستظهرون في حروبهم ولاية أعمالهم برجال العرب مثل عمر و بن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن زياد بن أبي سفيان، والحجاج بن يوسف، والمهلب بن أبي صفرة ... ».(ابن خلدون، 2005، ص. 221)

هذا وقد قدم لنا ابن خلدون مثالا حيا عن دولة بني العباس حيث كان فيها الاستظهار في الطور الثاني، وذلك بكبح جماح العرب عن التطاول على الحكم، وتحقق الانفراد بالمجد عن طريق الصنائع من العجم والبرامكة، « فلما صارت الدولة للانفراد بالمجد، وكبح العرب . المقصود بهم أهل العصبية العباسية . عن التطاول للولايات وصارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نويخت، وبني طاهر ثم بني بويه وموالي الترك ... »(ابن خلدون، 2005، ص. 222) وأخير يمكن القول أن الانفراد بالمجد والملك لا يكون إلا بالتخلص من أهل العصبية الأقربين، أي تبدأ الدولة بالقريب ضد البعيد، وتنتهي في هذه المرحلة بالبعيد ضد القريب . ففي هذا الطور يبدأ الحاكم باحتكار السلطة السياسية لذاته دون أقاربه من أفراد العصبية, ورفض مشاركتهم السياسية, وينتج عن ذلك توتر السياسي مما قد يجعل الحاكم اتخاذ أعوان وأنصار من الموالي والأباعد, لحمايته من المعارضة.

3- 3 – طور الفراغ والدعة

فبعد أن يتخلص أهل الدولة في هذا الطور من المتاعب التي تكلفوها في طلب الملك، يصبحون يأثرون الراحة والسكون، حيث ينشغلوا بتحصيل الثمرات أي ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس.(ساطع الحصري، 1967، ص. 369)وقد وصف إبن خلدون هذا الطور بقوله : « طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما ينزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت».(ابن خلدون، 2005، ص. 213)وهكذا تعرف دوائر المجتمع شكلا من حضارة الملاذ والاستهلاك، القائمة على نظام جبائي واسع ومتنوع، عرف في وقتنا الحالي بصنف الإقطاعية العقارية تنحدر من أصل مالي خراجي .(سالم حميش، 1998، ص. 94) وهذا يعني أن مصدر الدخل هو الجباية، وتحصيل الضرائب والإتاوات على الرعية من أجل توفير المال لخزينة الدولة، حيث يقول ابن خلدون في ذلك : « فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج وإحصاء النفقات ».(ابن خلدون، 2005، ص 213)أما عن أبواب المصاريف ووجوهها فهي : « تشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة وإجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل » . (ابن خلدون، 2005، ص. 214)

لقد كان هذا الطور من أطوار الدولة هو آخر أطوار الاستبداد، من أصحاب الدولة لأنهم في هذه الأطوار كلها، مستقلون بآرائهم بانون لعزهم موضحون الطرق لمن بعدهم. (ابن خلدون، 2005، ص. 214) فهو طور التمتع بمغانم الحياة والملك . إن ما يميز هذا الطور العمل على تنظيم الحياة الاقتصادية, والسعي إلى الرفعة والشهرة والجاه, وصرف الأموال على الحاشية والأعوان , كما يتم العناية بالجند بالتوسعة عليهم في المال وإنصاف قضاياهم, والمباهاة بالجيش والافتخار بهم أمام الدول المسالمة وإرهاب الدول المعادية.

3 – 4 – طور القنوع والمسالمة

حيث يكون صاحب الدولة في هذا الطور قانعا بما أنجزه آباؤه و أسلافه، فيكون مقلدا للماضين من الأسلاف ليتبع آثارهم حذو النعل بالنعل، حيث يقتفي أثرهم بأحسن مناهج الإقتداء، ويجد أن الخروج عن تقليدهم هو فساد في الأمر، لأنهم هم أبصر بما بنوا من مجد وحضارة، وجب على التابعين الإقتداء بها دون المساس بقيمها، وفي ذلك يقول إبن خلدون : « ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما بني أولوه، سلما لأنظاره من الملوك وأقتاله مقلدا للماضين ... ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الإقتداء، ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده ».(ابن خلدون، 2005، ص. 214) غير أن المحافظة على تقاليد السلف في الهيمنة والاستبداد، يحتاج إلى تمويل يسدد به نفقات الجيش والإدارة وتلبية حاجيات الدولة المترفة، فتعلن الضرائب وتحدث المكوس، حتى وإن خالفت الشرع.(سالم حميش، 1998، ص. 94)حيث يذكر ابن خلدون أن أستاذه الآبلي عن القاضي أبي الحسن المليلي في عهد السلطان المريني أبي سعيد : « فقد عرض عليه أن يختار بعض الألقاب

المخزنية لجرايته، قال فأطرق مليا ثم قال : من مكس الخمر».(سالم حميش، 1998، ص. 94) حيث سمي هذا الجيل بالقنوع نسبة إلى قنوع الحاكم بما بنا ه الأوائل, ومسالمة حاكم ورؤساء الدول, أيضا يتصف الحاكم هنا بتقليده لأسلافه.

3 – 5 – طور الإسراف والتبذير

حيث يكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمعه أولوه، في سبيل الشهوات والملاذ والكرم وبطانته،(ابن خلدون، 2005، ص214)فهو في هذه المرحلة أي الحاكم يقرب من يخدم شهواته ويغدق عليه العطاء، ويقلده عظائم الأمور ويبعد صنائع سلفه.(ابن خلدون، 2005، ص. 214) ولأن تحقيق الملاذ، وتلبية الشهوات يتطلب أموالا، فتكثر الضرائب، وتفرض بشكل لا يطاق، فيترتب عنها عواقب خطيرة منها :

أ . هجرة الفلاحين لأراضيهم، لعدم قدرة الفلاحين على دفع الضرائب والإتاوات .

ب . توقف التجار والصناع عن نشاطاتهم، نظرا لاختلال أرباحهم بسبب الضرائب.

ج . تفاقم بؤس الطبقات المستضعفة، مثل ظهور الطاعون والمجاعات بسبب توقف الانتاج وغلاء المعيشة. (سالم حميش، 1998، ص. 95) ويقدم ابن خلدون وصفا لهذه المآسي الاجتماعية، التي تحل بالدولة في هذا الطور، حين وصف الطاعون الذي حل ببلدان المغرب : « في منصف المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل و طوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها، وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها وفل من حدها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي واضمحلال أموالها ».(ابن خلدون، 2005، ص. 34)

يجزم ابن خلدون أنه قد تظهر بعض الأمراض في الدولة مثل الطاعون، لكن في مراحلها المتأخرة، فيصاب سلطان الدولة بالضعف، وتذهب معها أموال الرعية. إضافة إلى تدهور ميزان الدخل وبروز الاختناق المالي، وبروز القلاقل والثورات للقبائل ذات العصبية للاستيلاء على الحكم، وتعيد الدورة التاريخية سيرها .(سالم حميش، 1998،ص. 95) لقد بين لنا ابن خلدون أن ما يحدث في هذا الطور، هو هرم الدولة، حيث تصاب بالوهن والضعف، إضافة إلى ذلك يستولي عليها المرض المزمن، فلا داع للبحث له عن شفاء أو دواء، فيبقى المصير الوحيد لها هو الزوال والاندثار ، وهذه محصلة انقراضها . (ابن خلدون، 2005، ص. 214) وهذا هو الطور الأخير من أطوار الدولة من وجهة نظر ابن خلدون, فنرى أن خصائص هذا الطور تمتاز باستهلاك ما انتجه الأوائل, وانغماس الحاكم في الملذات والشهوات, واصطفاء أخدان السوء والتقرب منهم, كما يقوم الحاكم بتعيين المفسدين وغير الأكفاء مراكزا هامة في الدولة, واستغلال الحاكم لأعطيات الجند وصرفها في شهواته, وإهمال المصالح العامة للدولة.

4. أعمار الدولة

إن للدولة عمر مثل عمر الفرد، فهي تولد وتنمو وتتطور وتضعف وتزول، فهي عند ابن خلدون تعمر لثلاثة أجيال، وكل جيل عمره يساوي عمر الفرد، غير أن عمر الفرد في نظره يساوي أربعين سنة، وهو العمر الوسيط، أي مرحلة القوة، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته ».(ابن خلدون، 2005، ص. 206)وقد استلهم ابن خلدون هذا العمر الزمني من القرآن الكريم، في قوله تعالى :« ...حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ... » (سورة الأحقاق الآية 14) . لقد كانت نظرية ابن خلدون في أطوار الدولة واتساع نطاقها امتدادا لنظرية عمر الدولة،(ابن خلدون، 2005، ص. 357) حيث يقصد ابن خلدون بعمر الدولة أي الأجيال التي تمر بها، وليس الجيل في حد ذاته، بل حال العصبية في كل مرحلة من مراحل هذا الجيل، لأن تطور الدولة ما هو إلا تطور للعصبية في الأجيال المتعاقبة الحاكمة.(محمد عابد الجابري، 1992، ص. 219) وهو ما يجعل هذه الأجيال تتلون بألوان العصبية، وقد تمثلت هذه الأجيال فيما يلي :

1.4 الجيل الأول

إن الجيل الأول في الدولة عند ابن خلدون، هو الجيل الأول الذي قام بالثورة، غير أن هذا الجيل يتميز بالبداوة، حيث يقول عنه ابن خلدون : « وإنما قلنا إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لأن الجيل الأول لم يوالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها، من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك صورة العصبية محفوظة فيهم، فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون ».(ابن خلدون، 2005، ص. 206) أي أن الجيل الأول هو جيل البداوة الذي يتميز بالخشونه والبسالة، وطريقة عيشهم قائمة على الضروري فقط، حيث يستطرد ابن خلدون صفات معينة إلى جانب البداوة والعصبية، صفات الشجاعة والكرم والبسالة، حيث تتجسد فيهم صفة الدفاع المستميت على العصبية، والميل إلى بعضهم البعض.

2.4 . الجيل الثاني

يعتبر ابن خلدون أن الجيل الثاني يختلف عن الجيل الأول اختلافا جوهريا، بحكم أن هذا الجيل كان قد تربى في أحضان الملك والرفاهية، ونشأ في الحضر، حيث يقول عنه ابن خلدون : « والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه، من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف و الخصب، ومن الإشراك في المجد إلى انفراد الواحد به، وكسل الباقين عن السعي فيه، وعزال الاستطاعة إلى ذل الاستكانة، فتنكسر صورة العصبية بعض الشيء ».(ابن خلدون، 2005، ص. 206)فالحضارة تفسد طباع البداوة، إذ يتجه أصحاب الدولة إلى الإسراف في التنعم، ويزهدون في العمل ويركنون إلى الدعة والسكون .(خليد فؤاد طحطح، 2009، ص. 88)حيث يستشهد ابن خلدون بما نقله المسعودي والطبري وغيرهما، في أعراس المأمون (ابن خلدون، 2005، ص 206) ببوران بنت الحسن بن سهل

السرخسي وهو أحد أمراء المأمون ووزرائه : « ومنه أن المأمون أعطاها في مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت، وأوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة منها وهو رطل وثلثان، وبسط لها فرشا كان الحصير منها منسوجا بالذهب، مكللا بالدر والياقوت ».(ابن خلدون، 2005، ص. 210)ومن مظاهر هذا الجيل الخلود إلى الراحة والشراب والإكثار من النساء ومعاقرة الخمر، فتزول هيبة السلطان من النفوس وتكثر الفتن، فالترف مظهر الحضارة وهو عادمها، فالحضارة غاية العمران، ولكنها في نفس الوقت نهاية لعمره ومؤذنة فساده.(خليد فؤاد طحطح،2009، ص. 89)فهذا الجيل رغم انكساره صورة العصبية فيه لكنه لم يغرق في الحضارة للحد الذي ينسى معها خلق البداوة.

3.4. الجيل الثالث

يعتبر ابن خلدون أن هذا الجيل لا علاقة له بالبداوة وخشونتها، وتضعف العصبية فيهم ويبلغ فيهم الترف ذروته، ويبتعدون عن أخلاق المدافعة، حيث يتظاهرون فقط ويموهون الناس بالألبسة والأزياء وركوب الخيل، وهم في الأصل أجبن من النساء، حيث يقول ابن خلدون في ذلك : « ينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما فيه من ملكة القهر ، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفننوه (أي استمتعوا به) من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالا على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ».(ابن خلدون، 2005، ص.207)

لقد كان هذا الجيل نقيضا تاما للجيل الأول، الأمر الذي جعل فيه صاحب الدولة في هذه المرحلة يستنجد بالموالي والمرتزقة، « فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يأذن الله بانقراضها، فتهب الدولة بما حملت ».(ابن خلدون، 2005، ص.207)فيكثر الظلم وهو آذان بخراب الدولة والعمران. حيث يتبعه كنتيجة حتمية انهيار الدولة وزوالها، ومنه يتضح لنا حسب موقف ابن خلدون أن أعمار الدولة . أي أجيالها هي بمثابة أعمار الإنسان الذي يمر بمراحل متداخلة، تتخللها ولادة ونمو وتطور وزوال، أو مثل الزهرة التي تمر بمراحل مختلفة منذ وجودها حتى نموها وكبرها إلى غاية زوالها وانقراضها .

الخاتمة :

لقد كانت الدولة عند ابن خلدون المحور الأساسي في فكر ه، لأنها ممارسة اجتماعية ومعاناة نفسية، حيث اتخذ من العصبية المفتاح الذي تحل به أحداث التاريخ، غير أن قيمة نظرية ابن خلدون ليست في الدور الذي تلعبه العصبية، بقدر الإشكالات التي تطرحها نظريته في العصبية والدولة والعلاقة القائمة بينهما، هذه العلاقة التي تحدد شكل العمران وتجسم حركة التاريخ، فتتحول العصبية في لحظة ما من مجرد رابطة سيكولوجية إلى قوة مطالبة ومواجهة تتأسس على إثرها ملك ودولة وعلى قدر قوتها تكون قوة الدولة. وبفساد هذه العصبية بالترف و التعيم تسقط الدولة وتقوم دولة أخرى مقامها في إطار تعاقب دورين لأن حركة التاريخ، حركة انتقال من البداوة على الحضارة على شكل دورة حضارية، فالحضارة التي هي نتاج العصبية هي ذاتها سبب فسادها واندثارها، فتطور الأمور داخل العصبية الحاكمة هو تطور ذاتي داخلي، لأن تحديد عمر الدولة بثلاثة أجيال هو تحديد للمدة الزمنية اللازمة، لتفكك التضامن العصبي على نطاق العصبية الحاكمة. وحصر أطوار الدولة في خمسة أطوار هو في الحقيقة تحديد للمراحل التي يتدرج فيها الحسب نازلا من القوة إلى الضعف، داخل نطاق البيت الحاكم، لذا يمكن القول أن عوامل التطور الخلدونية هي عوامل سيكولوجية بحتة مثل خلق البداوة والاستبداد، والتقليد والتقصير وغيها. وهناك عوامل موضوعية واقتصادية كالمعاش والكسب والضرائب . ومن خلال ما سبق بمكن حصر بعض النتائج الآتية:

* تعتبر الدولة من المواضيع التي اعتنى بها ابن خلدون في أبحاثه.
* لا يمكن اختزال آراء ابن خلدون في العصبية أو الصراع القائم بين البداوة والحضارة، بل الغاية الأسمى هي تفسير الملك.
* تعد العصبية أساس نشوء الدولة.
* الدولة عند ابن خلدون هي الامتداد المكاني والزماني, لحكم عصبية ما .
* إن نظرية التعاقب الدوري للدول، تعد نظرية من إبداع ابن خلدون في تاريخ الفكر الإنساني، حيث أن كل دولة تنتقل من طور إلى آخر و كل طور يختلف عن الآخر حسب مميزاته وظروفه المحيطة به.
* إن العمران كله من بداوة وحضارة وملك، له عمر زمني مثله مثل الإنسان.
* للدولة خمسة أطوار تمر بها كل طور يعتبر امتدا للطور الذي سبقه.
* عمر الدولة يتجلى في الأجيال المتعاقبة التي تمر بها ، للدولة عمر مثل عمر الفرد، فهي تولد وتنمو وتتطور وتضعف.

المصادر والمراجع

1- ابن كثير . (1990)، تفسير القرآن العظيم . ط2، الجزء2 ، الجزائر: دار الثقافة للنشر والتوزيع .
2- ابن كثير . (1990)، تفسير القرآن العظيم. ط1، الجزء6. الجزائر: دار الثقافة للنشر والتوزيع .
3- ابن منظور . لسان العرب . المجلد 1 . تصنيف يوسف الخياط . بيروت : لبنان، دار لسان العرب .
4- ابن منظور. (1956). لسان العرب، المجلد 11 . بيروت: دار صادر .
5- أحمد محمود صبحي.(2004). في فلسفة التاريخ . مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .
6- إدريس هاني . (2002)، حوار الحضارات بين أنشودة الماضي وصرخة الهامش. ط1. الدر البيضاء: المركز الثقافي العربي .
7- آرنولد توينبي. (1963)، تاريخ الحضارة الهيلينية. ط1، ترجمة : رمزي جرجس. مصر: المكتبة الأنجلو مصرية .
8- إسماعيل زروخي . (1999)، الدولة في الفكر العربي الحديث ، دراسة فكرية فلسفية . ط1. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع .
9- أندريه لالاند . (2001)، موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد1 ،A-g .ط2، ترجمة : خليل أحمد خليل . بيروت: منشورات عويدات .
10- أندريه لالاند . موسوعة لالاند الفلسفية ط1، المجلد 1 . ترجمة : خليل أحمد خليل. لبنان: منشورات عويدات .
11- جميل صليبا . (1982)، المعجم الفلسفي ، ج1. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
12- خاليد فؤاد طحطح. (2009). في فلسفة التاريخ. ط1. الجزائر: منشورات الاختلاف .
13- رضوان سليم . (2006)، نظام الزمان العربي . دراسة في التاريخيات العربية الإسلامية . لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية .
14- ساطع الحصري.(1967). دراسات عن مقدمة ابن خلدون. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
15- سالم حميش. (1998). الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ . ط1 . بيروت: دار الطليعة .
16- سعيد الغانمي. (2006). العصبية والحكمة . (قراءة في فلسفة التاريخ عند ابن خلدون). ط1. بيروت: دار الفارس .
17- سيدي محمد ولديب. (2011)، الدولة وإشكالية المواطنة ط1. الأردن: دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.
18- عبد الإله بلقزيز . (2015)،الدولة والمجتمع ، جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر . ط2. بيروت: منتدى المعارف .
19- عبد الرحمان ابن خلدون . (2004)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر . ط1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
20- عبد الرحمان ابن خلدون.(2005). المقدمة. ج1. تحقيق عبد السلام الشدادي. الدار البيضاء: لإفريقيا الشرق
21- عبد الرحمان ابن خلدون.(2016). المقدمة، تحقيق: محمد الشامي. الجزائر: شركة دار الكتاب الحديث.
22- عبد الرحمان ابن ناصر السعدي . (1426هـ). تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. ط2. تقديم : عبد الله بن عبد العزيز العقيل - ومحمد بن صالح العثيمن. السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع .
23- عبد المنعم الحفني . (2000). المعجم الشامل ،المصطلحات الفلسفية. ط3. القاهرة: مكتبة مدبولي .

24- عبد الوهاب الكيالي وآخرون. (1991). موسوعة السياسة، الجزء2 . ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
25- علي سعد الله. (2003) . نظرية الدولة في الفكر الخلدوني. عمان: دار مجدلاوي.
26- عمر فروخ. (1972). تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون . ط1 . لبنان: دار العلم للملايين .
27- قاموس الموارد. (1991). بيروت: دار العلم للملايين .
28- م . روزونتال ،وب . يودين . (1985). الموسوعة الفلسفية. ط5. ترجمة :سمير كرم . يسروت: دار الطليعة .
29- مارسيل بريلو . (1983). علم السياسة. ط3. ترجمة محمد برجاوي . بيروت: منشورات عويدات .
30- مجموعة من المؤلفين . (1983). المعجم الفلسفي ، تصدير : إبراهيم مدكور . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية .
31- محمد جابر الأنصاري. (1995). التأزم السياسي عند العرب وموقف الإسلام ، مكونات الحالة المؤمنة بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
32- محمد شحرور. دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع . دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع .
33- محمد عابد الجابري.(1992). فكر ابن خلدون . العصبية والدولة. ط 6 . لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية.

34- International Encyclopaedia Of the social sciences . (1968). Macmillan CO New York. vol 15 , .
35- Jürgen Habermas . (1997). driot et démocratié , Paris Gallimard.
36- Justin Mccarthy and others . (1907).The Standart History of The World by great Historians , Vol VI , New yourk.
37- le petit la rousse.(ed 2001). grand format ,imprime en Belgique.
38- Philip resnik. (1985). les fonction de l'etat modern a la recherche d'une théorie kiné l'etat au pluriel Meconamica ; Unesco , Paris .
38- R.B Mowat . (1931). A History of Europe qnd The Modern world 1422-12928 , London.